

ملاحظات في القراءة بقلم المتربوليت سابا (اسبر)

كثيرون هم الذين لا يفهمون ما يقرأون بالشكل السليم. فللقراءة قواعد وأصول، ما لم يلتزم بها القارئ يتوه عن فهم ما يقرأ.

من أبسط هذه الأصول أن يقرأ بهدوء وتمعن، فالقراءة السريعة لا تترك مجالاً للاستيعاب الجيد، وإدراك المضمون، والتأمل به، وتحليله، والوصول إلى فهمه، بالشكل المطلوب، وكما يريد الكاتب تقديمه.

كما أنّ عدم الاهتمام بقراءة علامات التنقيط، من نقطة وفاصلة ومزدوجتين وإلى ما هنالك، والتوقف عندها، يؤدي بالقارئ إلى استنتاج ما لا يذكره الكاتب، وإلى اختلاط المعاني وتداخلها بعضها ببعض. وكثيراً ما توصل قراءة كهذه إلى نتائج مغلوطة، وقد تصل إلى حد مخالفة ما يريد الكاتب قوله، وتالياً تحميل النصّ المقروء ما ليس فيه، وتقويل الكاتب ما لم يخطر على باله، لا بل ما يعاكس، تماماً، وجهة نظره أحياناً.

تجنّب القراءة انطلاقاً من موقف مُسبق؛ كأن تستعد لمهاجمة ما تعتقده موقفاً ما للكاتب، يعاكس موقفك. في هذه الحالة أنت تقرأ لتماحك وتساجل، دون أن تهتم بما يقوله النص، وتالياً تُسقط عليه أفكارك وقناعاتك المسبقة. فتفهمه إمّا على ذوقك، أو بشكل منقوص، أو مشوّه. هذا النوع من القراءة سيء جداً، لأنّه يمنعك من البحث عن الحقيقة.

يلعب موقفك المسبق من الكاتب دوراً سلبياً، لا واعياً، في فهمك للنصّ. فترفضه أو تصنّفه مسبقاً، لمجرد أنّه صدر عن فلان، الذي لا تحبّه، أو لا توافقه، أو تقف في مصاف المضادين له.

موقف كهذا يقطع عنك سبل فهم الآخر كما يقدم نفسه، ويعرّف عنها. تبقى في حصنك المغلق، وتلقي التهم على هذا وذاك، ممّن ترفضهم شخصياً أو ترفض أفكارهم ومواقفهم، فتتجّر في قوقعتك الفكرية، وتموت في عزلتك، ولا تقدّم للمجتمع موقفاً إيجابياً.

تقوم القراءة السليمة على محاولة فهم النص كما هو، وعدم تحميله ما تظنه فيه، وهو، في الحقيقة، فيك أنت، بهوى أو قصد أو انغلاق ما. بعد أن تفهم وجهة نظر الكاتب تستطيع نقده أو رفضه أو مناقشته أو الرد عليه أو مساجلته.

لا تُقرأ القصّة كما يُقرأ الشعر. كذلك لا يُقرأ الكتاب العلمي كما الديني. فلكلّ حقل أدبه الخاصّ ومصطلحاته، التي يختلف مدلولها من حقل إلى آخر. من المفيد والضروري أن تعرف خصائص الأنواع الأدبية، وهذا تكتسبه بممارسة القراءة، كما تفترض قراءة أيّ نصّ، والدينيّ بالأخصّ، مقارنةً عقليةً طهريةً. بمعنى أنّك تُقبل على القراءة بروح البحث عن الحقيقة، لا بروح النقد والهجوم. تقرأ أولاً لتفهم ما يريد النصّ قوله، ولك بعد ذلك أن تحاكمه عقلياً بحسب موقفك، والإيديولوجيا التي تعتنقها.

لا تركز على فقرات بعينها، وتهمل سطوراً أخرى. اقرأ النصّ كلّ، وعلم على الجُمْل التي تلفتك، كيما تحفظها، أو تحتفظ بها. القراءة الانتقائية، لأيّ نصّ، توصل إلى مفاهيم خاطئة ومغلوبة له.

القراءة فعل تطهيري، لأنّها توجب عليك أن تصغي إلى ما تقرأه أو تسمعه، لتتعرّف إلى آراء غيرك، وتدخل إلى عوالمه.

تساعدك القراءة على قبول الآخر كما هو، والدخول في معرفته، وإن كنت غير مجبر على قبولها. كما تساعدك، عبر مناقشة أفكار غيرك، على الاغتناء بما عنده، وبما وصل إليه.

القراءة منجم لا ينضب من المعرفة، وطريق يودي السير فيه إلى النضج المستمر.

تذكر كلام بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس (الرسالة الأولى)، تجد فائدة عظيمة:

"واظب على القراءة" (١٣:٤) ... "تجنّب الخرافات الباطلة وحكايات

العجائز" (٧:٤) ... "تجنّب هوس المناقشات والمباحكات، التي يصدر عنها

الحسد والشقاق والشتائم والظنون السيئة والمنازعات بين قوم فسدت

عقولهم، وأضاعوا الحقّ، وحسبوا التقوى سبيلاً إلى الربح (٦:٤-٥)."